

السخرية في شعر إبراهيم طوقان

سيد مرتضى حسيني

أستاذ مساعد في اللغة العربية و آدابها بجامعة آزاد الإسلامية - فرع بيرجند

ساجد زارع *

طالب الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها بجامعة إصفهان

(١٠٨-٨٩)

تاريخ الاستلام: ٩١/١١/١٣؛ تاريخ القبول: ٩٢/١١/١٢

الملخص

تعتبر السخرية طريقاً في تصوير حقائق المجتمع غير أنها طريق غير صريح؛ إذ هي مزيج بالضحك و المزاح، لكن يكمن وراء هذا الضحك، تفكير و تدبر عميق و صراخ يوقظ الإنسان من السبات و الغفلة. و بناء على هذا، فإن السخرية تستخدم كوسيلة لأجل الوصول إلى الغاية، وليست هي مقصودة بالذات؛ و يقصد الأديب الساحر بها شخصاً خاصاً أو جماعة أو قوماً. ومما يميز به شعر إبراهيم طوقان هو الاهتمام الكثير بقضايا وطنه فلسطين، والتعبير عن الحقيقة ضمن عاطفة صادقة. وبما أنه كان عاجزاً عن الفعل والتصدي والتغيير فعلياً، فلم ير إلا السخرية والتهكم سلاحاً يكافح به ويناضل. فكثيراً ما نرى أنه وجدتهما خير طريقة لتناول هذه الموضوعات، فتمسك بهما ليسخر ممن يخون وطنه وليوقظ أبناء الوطن من الغفلة. فقد استخدم أساليب مختلفة ليزود سخريته بتأثير أكثر وأعمق في متلقيها، منها: استخدام صيغة الأمر والاستفهام، واستعمال اللغة المحكية أو العامية، والمقابلة، وتقرير الحقائق مخالفةً للوضع القائم، والمعاكسة اللفظية، ومعاكسة نتاج المقدمات، وإيقاظ الواهم. واستهدف الباحثون في هذا المقال دراسة السخرية وأشكالها وكيفية استخدامها في شعر إبراهيم طوقان. فبعد تعريف السخرية، و الإتيان بنبذة عن ترجمة الشاعر، استعرضنا بواعث السخرية و ميزاتها و أساليبها في شعره مرتكزين على المنهج الوصفي - التحليلي.

الكلمات الدلالية: السخرية، إبراهيم طوقان، الوطن، فلسطين، الشعر.

المقدمة

لا ريب أنّ الأدب يبرز فكر المجتمع و ثقافته و الأديب يستفيد من الأدب كأداة لنقل عواطفه و أفكاره، إذ له دور هامّ لبقاء القيم و الأفكار على مرّ العصور. و لا نكاد نغلو إذ قلنا إنّ إنجازات كلّ أمة تتجلّى في أديبهم، لأنه يشبه مرآة يعكس كل ما يواجهه بصورته الواقعية؛ و الأدب من منظور آخر هو حادّ في أيدي أبناء المجتمع من أجل استعادة حقوق الشعب المهضومة.

ومن الطبيعيّ أنّ لكل شاعر أو كاتب أسلوبه الخاص في التعبير عن الأوضاع التي لا تُرضيه. والسخرية هي أسلوب يستخدمه الأديب الساخر للدفاع عن حقوق الشعب أو لإظهار احتجاجه على شخص أو جماعة.

والضحك الساخر قد يضحك من عيوب الناس، لأنّه يبحث عن تلك العيوب، ويستريح إليها، ولا يتمنى خلاص أحد منها، وقد يضحك من تلك العيوب، لأنّه ينفس عن عاطفة لا يستريح إليها عامة بين إخوانه الآدميين، ولا خاصة في أحد يعينه من أولئك الإخوان. (العقاد، ۱۹۶۹م: ۹)

وذهب أفلاطون إلى أن الإنسان الكريم لا يعرف الجدلّ إلا بالهزل، وأنه من الحسن أن يشهد مناظر الهزل من العبيد، ولا يغمس فيها بنفسه. وهو يرى أن الضحك مرتبط بالجهل، وأن الشعراء يُضحكوننا حين يحاكيون أولئك الجهلاء، ولكنهم إذا طرّقوا موضوع الملحمة أو المأساة عظموا الطغيان، وجعلوا رواياتهم حكاية لأعمالهم، فلا أمان لهم في محاكاة الجهل ولا في محاكاة الطغيان. (المصدر نفسه: ۳۳)

فالشاعر -باعتباره جرّاحاً- يكشف عن الأورام المهلكة من جسم المجتمع، حتى لا يبقى فيه شيء من الأسقام، بحيث لا يطبق أن يرى انتشار الأمراض واستشراء عاهاتها في أوصال الوطن وبين أبنائه.

والسخرية كمبضع يستخدمها الشاعر المفكّر في صياغتها تحتاج الى الكثير من البراعة والمهارة؛ لأنّ الصياغة تعدّ من أهم عناصر السخرية على وجه الخصوص، وكذلك في أنواع الفكاهة عامّة. ومن أبرز المعاني التي لاحظها الباحثون في هذا الأسلوب - والذي يشعر بها الساخر شعوراً واضحاً - هو الشعور بالتفوّق والاستعلاء والانتصار، فالسخرية بالإضافة إلى كونها أسلوباً عدائياً تعني احتقار من توجه إليه السخرية والازدراء.

والاحتقار والازدراء، لا يصدران إلا عن الأقوى، ومعنى ذلك أن السخرية يصاحبها دائماً شعورٌ من الساخر بالتعالي والترفع والتفوق على من يتهكم به. (عبدالستار، ۲۰۰۷م: ۵۶)

إذن، وجد إبراهيم طوقان السخرية والتهكم، كسلاح وحيد في إصلاح المجتمع، يُعيد له توازنه؛ لأن سلاح الضحك يستطيع المواجهة، وهو سلاح لا يتمكن القانون من ضبطه، ولا يمكن للرقابة أن تسيطر أو تعاقب عليه. «لكنه ليس الضحك الذي يتوَلد عن الكوميديا، بل الضحك الذي ينتج عن التوتر الحاد، والذي لا بد أن ينفجر». (قاسم، ۱۹۸۲م: ۱۴۳؛ نقلًا عن طه، ۱۹۹۸م: ۱۳۷)

فالمتمم في أشعار طوقان يجد السخرية بألوانها المختلفة ماثلة في طياتها. ومن جراء ذلك، قدراً ما تمكنا هذه العجالة عمدنا فيها لدراسة فنّ السخرية في شعره للكشف عن الأسئلة التالية:

— ما هي دوافع الجنوح إلى السخرية عند إبراهيم طوقان؟

— ما هي الأساليب التي استخدمها الشاعر في تعابيره الساخرة؟ وكيف استخدمها؟

الدراسات السابقة

قد ألفت خلال السنوات الأخيرة كتبٌ ومقالات عديدة حول المهجاء والفكاهة والأدب الساخر، فتناولت هذه المواضيع من العصر الجاهلي إلى عصرنا الحاضر ملقية أضواء على السمات والخصائص الفنية التي يتسم بها فنّ السخرية بتبيين كيفية تطوره في كل دور من أدوار الأدب العربي. ومن هذه الدراسات: كتاب "فن المهجاء وتطوره عند العرب" لإيليا الحاوي، وكتاب "جحاح الضاحك والمضحك" لعباس محمود العقاد، وكتاب "الفكاهة في الأدب العربي" لأحمد الحوفي، وكتاب "السخرية في الأدب العربي الحديث" لعبد الستار سها، وكتابا "الأدب الفكاهي" و"الفكاهة عند نجيب محفوظ" لعبد العزيز شرف، ورسالة تحت عنوان "السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين" لعبد الخالق عبدالله عوده عيسى.

وإننا رغم محاولتنا الكثيرة ما وجدنا دراسة تستعرض فنّ السخرية في شعر إبراهيم طوقان بكل دقة فيها وجليلة؛ اللهم إلا كتاب "الكنوز" للمتوكل طه الذي أشير فيه إلى أساليب السخرية في شعره؛ فاستفدنا منه. وانطلاقاً من هذا، تراءت فكرة السخرية في شعر إبراهيم

طوقان كموضوع يتيح المجال للباحث فيه وصولاً إلى النتائج الناجمة وتقديمها للقارئ الكريم.

تعريف السخرية

السخرية لغةً

«سَخِرَ مِنْهُ سَخْرًا وَمَسْخَرًا وَسُخْرًا، بِالضَّمِّ، وَسُخْرَةٌ وَسُخْرِيًّا وَسُخْرِيًّا وَسُخْرِيَّةٌ: هَزِيءٌ بِهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ (الحجرات/١١). وَسَخَرْتُ مِنْ فُلَانٍ، هِيَ اللَّغَةُ الْفَصِيحَةُ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ (التوبة/٧٩). وَقَالَ: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ (هود/٣٨)؛

وقال الراعي:

تَغْيِيرُ قَوْمِي وَلَا أَسْخَرُ وَمَا حَمَّ مِنْ قَدْرٍ يَقْدُرُ

(ابن منظور، ١٩٩٠م، عن مادة: «سَخِرَ»، ص ٣٥٣)

«سَخِرَ مِنْهُ وَبِهِ — سَخْرًا، وَسُخْرًا، وَسُخْرِيَّةٌ، وَسُخْرِيَّةٌ؛ هَزِيءٌ بِهِ وَفِي التَّرْتِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾» (المعجم الوسيط، ٢٠٠٤م، عن مادة: "سَخِرَ": ٤٢١).

فإذن تستخدم السخرية لغةً للاستهزاء والازدراء وغيرها من المعاني التي تدلّ على التحقير والاستخفاف.

السخرية اصطلاحاً

تعتبر السخرية طريقاً خاصاً للتعبير عن القضايا التي تدعو إلى الانتقاد في المجتمعات بلغة ساخرة، ملؤها الضحك والمزاح. والسخرية مرآة صادقة للحقيقة من ناحية، كما أنّها طريق للتعبير عن الاضطرابات والسيئات، ومعابيب الفرد والمجتمع من ناحية أخرى. ومن هذا المنطلق يدافع الأديب الساخر عن القيم الإنسانية، حاثاً المشاعر الإنسانية على الخوف، والخرافات والآلام، مشيراً إلى مواقف الظلم حافظاً على الفهم، كما أنّه يوجّه أحاسيس الإنسان نحو الآلام واكتشاف مواضعها، مكرماً تقوى الضمير. والأديب الساخر يمتلك ظرافة تقدر على إضحاك الباكي الحزين المصاب بالآلام، تأكيداً على ما يعانیه من تلك الآلام.

تقدم السخرية صورة هجائية عن الجوانب القبيحة والسلبية للحياة، كما تصوّر معابيب المجتمعات ومفاسدها، وحقائقها المرّة بإغراق شديد، حيث تظهر تلك الحقائق أكثر

قبحاً ومرارة لتظهر خصائصها وميزاتها بشكل أكثر وضوحاً، ولتجلى التناقض العميق بين الوضع الموجود والحياة الكريمة المنشودة. وهكذا الجدل قائم بين القلم و الإنسان، بينه وبين أولئك الذين وجهت السخرية إليهم، وهي لا تهدف إلا إلى هذه الغاية. (دادفر، د.ت: ١)

فالسخرية إذن هي فن من الفنون الفكاهية، وأسلوب من أساليب التعبير عن الواقع الإنساني والإجتماعي والسياسي يعين هازلة لا تخلو من النقد، فيعبر بها الشخص على عكس ما يقصده في حالة تهكم واستهزاء. (كاوري، ٢٠٠٦: ٩٧؛ نقلا عن العسكري وبيكدلي، ١٣٩٠: ٥٣).

الفرق بين الفكاهة والسخرية والهجاء

إن الفكاهة هي ميل إنساني لإثارة جو من المرح، والفرح، والضحك، والابتسامة، والمسرة في قلوب الناس وعلى وجوههم. وقد تكون الفكاهة، سخرية مرة، وموغلة في الألم عندما تتناول الجانب المتهكم في المجتمع، ولكنها تُثير الضحك أو الابتسام على أقل تقدير، وإن كان ضحكا وابتساما مليئا بالمرارة والأسى من الأوضاع المقلوبة. (ضيف، ١٩٨٥م: ١٠)

تتقاطع السخرية والفكاهة في إثارة الضحك، لكن ضحك السخرية خشن ومر ولاذع ومتشفي، في حين أن ضحك الفكاهة صافٍ ناعم متعال، لأن السخرية فن يختلف عن الفكاهة اختلافاً جوهرياً، فالسخرية تهدف إلى المواجهة والتعبئة والتغيير. (الخليلي، ١٩٧٩م، ص ٥٠، نقلا عن طه، ١٩٩٨: ص ١٣٣) فيمكن القول: إن السخرية هي صورة مضحكة تكشف عن الجوانب القبيحة والسلبية للحياة ومشاكل المجتمع وآلامه، غايتها إصلاح المجتمع وحل مشاكله؛ بينما الفكاهة قد تؤدي هذا الدور، وقد تشمل موضوعات مختلفة لا ترتبط بالآلام والمشاكل.

وكذلك تمتاز السخرية بالهجاء، من ناحية الوظيفة، غير أن الفرق بينهما من ناحية المادة أو الطبيعة التي يشمل عليها كل منهما، فالهجاء طريقة مباشرة في الهجوم على العدو، غير أن السخرية طريقة غير مباشرة.

وصفوة القول أن السخرية حدٌ فاصلٌ بين الفكاهة والهجاء تنسجم مع الفكاهة في ترويح المشاعر وتميل إلى الهجاء في تبيين المعاييب.

لغة السخرية ولغة الأديب الساخر

إنَّ السخرية تعبّر عن الأمور الغامضة بلغة عذبة قابلة للفهم، عما يؤدي إلى تعرّف الناس على الضعف، والقصور، و النقص، و كيفية تحوّلها إلى المشاكل. و تقوم السخرية بتحديد الأمراض، و يجب على الناقد أن يتعرف على هذا المجال كي لا تمتزج السخرية الأصلية بالهجو، و الهزل و الفكاهة.

تعتبر السخرية مزيجاً من العذوبة و المرارة، إذ تكمن فيها الكناية و الضحك، لعرض التفكير. و هي بيان للردائل الخلقية و الخلقية للفرد أو المجتمع بأسلوب ساخر و بإشارة القرائن البعيدة أو القريبة، و الظن الصائب و الاستدلال المستقيم، و تصوب شفرة سيفها الحادّ بكل جرأة، و شجاعة، و دراية نحو المجتمع المريض و سقمه العام. (دادفر، د.ت: ص ١)

و تمثّل السخرية في الشعر، كالقصة و المسرحية و الأنواع الأدبية الأخرى، طريقاً للتعبير عن الجوانب الانتقادية، و قصورات المجتمعات المختلفة، بلغة تحتوي الضحك الناتج عن الآلام و المضايقات. فلغة السخرية هي نوع من اللغات المستخدمة في الآداب نظماً و نثراً.

و تتميز الكتابة الساخرة بموضوعها، و هو دائماً من الموضوعات السائدة. و يذكر الكاتب أسماءً مشابهة للأسماء الحقيقية، أو يصف أناساً و صفات لا يخطئه أحد. و كذلك تتميز بلغتها، فمعظم الأعمال الساخرة تحتوي على كلمات قاسية و مبتذلة و تافهة و فكاهية و عامية. كما يعمل الكاتب الساخر على تقديم الغير المتوقع سواء في كلماته أو في حيكته أو في حوارهِ أو حتى في تركيب جملة. (عدلي، ١٩٩٧م: ٤٢) و إنّ الكاتب الساخر يُورِّقه دائماً إحساسه بالفجوة الواسعة، بين ما ينبغي أن يكون و ما هو كائن؛ و في إدعائه قول الحق يقصد الكاتب الساخر المعاونة على إسداء النصيح و التحذير، و في هذه الحالة يعتقد أن الحق يعود بالخير أو يقصد أن يعرض الفضائح و يعلنها على الملأ و في هذه الحالة يتوقع الحق أن يؤدي و يؤدّب. (المصدر نفسه: ٤٢)

و بما أنّ نظرة السخرية تنتج عن حدة الذكاء و التنقيب، و في نفس الوقت عن الاستهزاء بالسلبيات و المساوئ في المجتمع، فإنّ الأديب الساخر يجب عليه اختيار لغة خاصة، ليتزل بها سياطه على ظهر قاطبة القصورات و الردائل الاجتماعية. و الأديب الساخر بتداعياته

السخرية يجمع الكلمات و التراكيب المناسبة أو غير المناسبة، لتجذب البعض، و تدفع البعض، كالألوان في الرسوم و الأصوات في الموسيقى؛ فيستعمل دائما لغة تنسجم مع الحال و المقام، لأن قلبه غامر بالآلام و الأحزان، كما أنه يعبر عن رأيه بلغة بسيطة موجزة بعيدا عن الإطناب دون أن يشعر بالحاجة إلى الترصيع، و الجناس و القافية، و لكنّه يلجأ إلى بعض المحسنات: كالإغراق و المبالغة، و أنواع التشبيهات، و الاستعارات، خاصة الاستعارة التهكمية، و التمثيل، و التضاد، و بالأخص الكناية و أقسامها كالتعريض، و التلويح، و الرمز، و الإيماء، و الإيهام. و تتسم لغة السخرية أيضا بطابع آخر، و هو الهروب من الواقع الخارجي، إمّا يرافقه التكبير، أو يرافقه التصغير. هذا، و تتميز السخرية بطابع خاص بسبب وجود لحن نقدي يصطبغ بصبغات مختلفة، و يستخدم عناصر كلامية، و محسنات لفظية و معنوية خاصة بها، وفقا لمقتضيات كل عصر.

السخرية وبواعثها

إنّ من أبرز العوامل التي يُجمع عليها علماء النفس و يرون أنّها الدافع الأساسي للضحك بصفة عامة، هو تخفيف الألم الذي يتعرّض له الناس في حياتهم المفعمة بالهموم و الآلام و الأحزان. و يُعدّ النقد أو الإصلاح الاجتماعي من الدوافع الرئيسة للسخرية، كما أن السخرية تعد من الوسائل في معالجة الكثير من القضايا الاجتماعية. لو أردنا أن نذكر أهمّ البواعث للجوء إلى أسلوب التعبير الساخر لكانت على الترتيب التالي:

١. للضحك و الترفيه المنبعث عن السخرية قوّة تُمكن القراء من سلوان همومهم و أوجاعهم من جهة، و تؤثر في إصلاح الأمور الجارية في المجتمع تأثيرا لا حدّ له، حيث ليس بإمكان الحكومة أن تحول دونه.
٢. قد يكون الأسلوب الساخر انتقاما لما يتلقاه الشاعر من الإهانات و المذلات.
٣. يجعل بعض الشعراء السخرية من الآخرين و الأشياء و الظروف سلاحا حادّا، لحصوله على حقوقه المسلوبة _ و على الأقل على حدّ ظنّ الشاعر _ كما هو عند الكثير من الشعراء، مثل: بشار بن برد و الحطيئة و

٤. يرى البعض من الأدباء أن السخرية طريقة مناسبة لتنبيه الظالمين و الأشرار دون أن يخاطروا بأنفسهم مباشرة.

٥. و قد يتخذ الشاعر السخرية أسلوبا لتعويض ما يفتقده من الجمال الظاهري أو الفقر المادي أو المكانة الاجتماعية، و لهذه الأسباب تكون السخرية أكثر إفصاحا من الأساليب الأخرى، و نجدُ الكلامَ الساخر ينافس الكاتب و الإعلان و الخطاب، و يتفوق عليهم جميعا من تبيان سيئات المجتمع في المجال السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي و... .

و إنَّ السخرية ليست للمتعة فقط، فصحيحٌ أنَّ الشعر و الأدب الساخر يسبب لك الضحك و يجعلك تُقهقه، ولكنَّ هذه القهقهة تبرز بالتفكير والإيمان. إذن نستطيع القول بأنَّ السخرية هي أمثولات و عيبر، و مواقف، و آراء حديرة بالنظر و التأويل. (أدونيس، ١٩٨٢م: ٤٠)

حياة إبراهيم الأدبية

«هو شاعر فلسطين، وُلد في نابلس سنة ١٩٠٥م، و درس في القدس و في الجامعة الأمريكية ببيروت. عمل في التدريس و الإذاعة، و توفي سنة ١٩٤١م. له ديوان شعر يمتاز فيه الغزل بالبوح الرقيق و العفة، و الإباء، و يمتاز في الشعر الوطني بصدق العقيدة و عمقها.» (الفاخوري، ١٩٨٦م: ٦٦٠)

يمكننا أن نقسم شعر إبراهيم طوقان إلى ثلاثة أقسام: الغزليات، و الوطنيات، و الموضوعيات؛ و هذه الأخيرة تمتاز بعمق الفكرة، و دقة التصوير، و قد حلق فيها آفاق الشعر العالمي؛ هنالك "الشهيد"، و "الفدائي"، و "الحبشي الذبيح"، و غيرها، و لعلَّ واسطة العقد في موضوعياته هي قصيدة "مصرع بلبل"، و هي فتح جديد في القصة الشعرية، نلمس فيها تأثير إبراهيم بالأدب الغربي دون أن يفقد ميزان خياليَّتها، بتعبيراته الشعرية الخاصة. و في قصيدة "الشهيد" نقلنا إبراهيم بدقة وصفه، و روعة تصويره إلى ما يثور في نفس الشهيد من العواطف، و الاستقلال في سبيل الواجب الأسمى. (طوقان، ٢٠٠٥م، ص ٣٤)

و يتصف شعر ابراهيم طوقان بالحمية و بحس الذوق و القيمة الجمالية، يقوم على نبرة مألوفة موسيقيا و على البساطة و العمق و قوّة الصورة الشعرية، و هذا الشكل لا تتحدد جمالياته في الغزليات فحسب، بل ثمة أنواع أخرى، تمتاز بها قصائده مثل الوطنيات، و القصائد

الساخرة و قصائده الوطنية الجادة التي تحولت إلى أناشيد مغناة إضافة إلى الموضوعات التي تتناول جمالية المكان، وهي غالباً ما تكون شديدة التنوع معبأة بذاكرة متقدمة، و يكاد أن يكون الشاعر، أول من رسخ صورة الوطن، و أسس جماليات الشعر الفلسطيني، في وقت مبكر من العقد الثاني و الثالث من القرن العشرين.

«كان إبراهيم طوقان الأبرز بين شعراء جيله في فلسطين، و قد كرّس معظم طاقته الشعرية لقضية وطنه. استخدم في شعره اللغة البارة المحكمة المؤثرة، كما تراوحت مواضيع شعره بين التجربة الذاتية والتجربة الوطنية الواسعة. و هو عندما يكتب شعراً، يكتب عن التجربة الوطنية، فإن لهجة هذا الشعر تراوح بين الاحتفال البلاغي بالبطولة و الشهامة و التضحية، و بين السخرية الهازلة على انتهاك حرمة الجهاد و قدسية التضحية. و هو أبرع الشعراء المعاصرين قبل «مظفر النواب» باللجوء إلى السخرية اللاذعة، كوسيلة الهجاء السياسي، إلا أنه يظل أكثر حفاظاً على جماليات الشعر و التهذيب من النواب، حتى في أشد قصائده تصويراً هزلياً لمثالب الوطن و عِله.» (الجبوسي، ١٩٩٧م: ٣٢٣)

و المتأمل في شعر طوقان يجد صدق الانفعال، و قوته، و اتساعه، و كأنما خرج بهذا الصدق عن دائرة الاهتمام الشخصي إلى الأفق القومي أو الإنساني. وربما كان ذلك من الأسباب التي تجعل شعر طوقان الوطني متمزجاً بشعره غير الوطني و شعر إبراهيم كان يسير على عمود الشعر العربي من حيث الأسلوب، و حسن اختيار الألفاظ، و إشراق الדיباجة، و إحكام النسج و البعد عن الغموض، و التصنع، و قرابة من الألفاظ السهلة العذبة الجذابة البعيدة عن هجنة الابتذال و وحشة الغريب. (الماضي، ٢٠٠٩م: ٥٢-٥٣)

لماذا السخرية في شعر إبراهيم؟

لو عرفنا حجم الكارثة المخيفة التي حلت بفلسطين و أهلها، و المؤامرة المفزعة التي نفذها الانتداب و الزعماء الفلسطينيين و السماسرة، ضد الأرض و الشعب، حتى عام ١٩٤١م (سنة وفاة الشاعر)، لفهمنا سبب هجوم إبراهيم طوقان على أقطاب المؤامرة، و صبه جام غضبه و سخريته عليهم، و لأدركنا اهتمام شعراء المقاومة لدعوة الناس للتصدي و للثورة و الخلاص.

ففي عام ١٩٢٠م، صدر أول قرار بريطاني بشأن هجرة اليهود، يسمح بدخول ١٦٥٠٠ مهاجر يهودي إلى فلسطين، خلال عام واحد، على الرغم من المعارضة الفلسطينية، واستمرت هذه الهجرة الجماعية الصهيونية، وأحدثت اضطرابات عنيفة في فلسطين، و تركت آلاف من القتلى و الجرحى حتى «أصدرت لجنة تحقيق بريطانية برئاسة "شو" قرارا عن حوادث ١٩٢٩م، أكدت فيه أن السبب الرئيس لتلك الحوادث هو الهجرة اليهودية.» (المصدر نفسه: ١٤٠) و إن الزعماء الفلسطينيين بدلا من أن يهبوا لمواجهة تلك الغوائل و المخططات، راحوا يتزاحمون على الزعامة و الواجهة؛ فغضب طوقان من موقف هؤلاء الزعماء، و عزم أن ينهض لمناضلة الاحتلال و هؤلاء الزعماء بكل جهده؛ فوجد أن خير طريقة لتناول هذه الموضوعات هي السخرية و التهكم، فذلك أحرى أن يخلد عار هؤلاء المنحرفين جميعاً في نفوس أبناء الشعب، و بخاصة إذا استعمل الشاعر في سخريته عبارات مستمدة من اللغة الدارجة، تتقبلها النفوس كما تتقبل الأمثال السائرة. و قد لا تكون هذه السخرية ذات أثر فوري، و لاتوازي الفعل القتالي المواجه الساخن لرد المؤامرات و الأفعال الخسيسة، لكنّها أدوم في اختراقها الحواجز، و هو سلاح هجومي فعال، و هذا السلاح هو الضحك، لكنّه ليس الضحك الذي يتولّد عن الكوميديا، بل الضحك الناتج عن التوتّر الحاد، و الضحك الذي يجب أن ترقّ به العيون أحيانا. (المصدر نفسه: ١٤١)

و بتعبير آخر يمكن القول: إن طوقان أدرك كلّ الإدراك مدى فاعلية التعبير الشعري في إغراء النفوس و تحريك القلوب، فتمسكّ به و صبّ فيه سخريته التي تزيد من هذه الفاعلية، و تجعل الشعر ينساب في أفئدة المواطنين و يتمكّن في أذهانهم بالضرب على أوتار وطنيتهم الحساسة. و مردّد ذلك فيما نرى أن طوقان أراد بهذه الطريقة المتميزة أن يُميط اللثام عن فظائع الأمور التي سبّتها أيدي المحتلّين، و على الوجه الأخص الزعماء المتهاونين الذين لهم دور ملفت في تضييع حقوق الشعب الفلسطيني الملهوف.

أشكال السخرية في شعر إبراهيم طوقان

قبل الولوج في صميم البحث و التطرق إلى أشكال أو أساليب السخرية التي استخدمها الشاعر في شعره، يجب أن نلاحظ أن الأسلوب الساخر أسلوب لغويّ فنّي تنطوي على ثلاث مميزات؛ و هي على التوالي:

١. الجوهر أو المضمون الذي يدعو إلى السخرية. ٢. طريقة التعبير المنسجمة مع السخرية لغوياً. ٣. هدفٌ إصلاحيٌّ يكون وراء هذا التعبير الساخر.

أضف إلى ذلك أن الأسلوب اللغوي الساخر ليس إلا «نتيجة لمفارقة العوامل التي تُكوّن الخطاب الكلامي و هو أن يُدرك المخاطب أن ظاهر الألفاظ لا يصلح لها المعنى وفق السياق الذي وُردت فيه؛ و بقدر ما يتسع مدى المفارقة في الكلام تشتدّ حدة السخرية (أو الفكاهة) المطوية فيه». (فتوح، ٢٠١٢م: ٣٧٩) فبناءً على هذا نتناول أساليب السخرية في شعر إبراهيم طوقان.

١. استعمال صيغة الأمر أو الاستفهام

استعمال صيغة الأمر أو الاستفهام، و ذلك لدفع العقل أو التفكير إلى المقارنة و المشاكلة أو المقابلة، و أمثال ذلك قوله مخاطباً زعماء البلاد مستخفاً بهم: (طه، ١٩٩٨م، ص ١٤٥)

أَجَلَاءَ عَنِ الْبِلَادِ تُرِيدُونَ فَتَجَلِسُوا، أَمْ مَحَقَّنَا وَ الْإِزَالَةَ؟!

(طوقان، قصيدة "أيها الأقوياء": ٢١٣)

هذا كقصيدته التي يردّ بها على قصيدة الشاعر الكبير أحمد شوقي حول مكانة المعلم قائلاً له على نحو ساخر:

"شوقي" يقول - و ما ذرى بِمُصِيبِي - "قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفَهُ التَّبْجِيلَا"
أُقْعِدُ فِدْيَتَكَ هَلْ يَكُونُ مُبْجَلَا مَنْ كَانَ لِلنَّشْءِ الصَّغَارِ خَلِيلَا!
و يكاد يُقْلِقُنِي الْأَمِيرُ بِقَوْلِهِ: "كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا"
لَوْ جَرَّبَ التَّعْلِيمَ شَوْقِي سَاعَةً لَقَضَى الْحَيَاةَ شَقَاوَةً وَ خُمُولًا

(المصدر نفسه قصيدة "الشاعر المعلم": ١٧٦)

وأمثلة ذلك كثيرة منها:

لِيَصُمَّ عَنِ مَبِيعِهِ الْأَرْضَ يَحْفَظُ بَقْعَةً تَسْتَرِيحُ فِيهَا عِظَامُهُ

(السابق، قصيدة "اشترروا الأرض تشتريكم من الضيم": ١٦٩)

فَأَهْدِي يَا عَوَاصِفُ خَجَلًا مِنْ جِرَاءَتِهِ

(السابق، قصيدة "الفدائي": ٩٤)

فَكَرُّ بِمَوْتِكَ فِي أَرْضِ نَشَاتٍ بِهَا وَاتْرُكْ لِقَبْرِكَ أَرْضًا طَوْلَهَا بَاع!

(السابق، قصيدة "إلى بائعي البلاد": ١٣٦)

مَا لَمْ تَقُمْ بِالْعَبَاءِ أَنْ تَ فَمَنْ يَقُومُ بِهِ إِذْنُ؟

(السابق، قصيدة "تفاؤل وأمل": ٨٩)

أَفَرِغْتُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سِوَى الْمَجْلِسِ يَحْتَاجُ هِمَّةً وَجِهَادًا؟

(السابق، قصيدة "يا سراة البلاد": ٥٨)

يُلاحظ في هذه الأبيات أنّ إبراهيم استعمل صيغة الأمر: (أَقْعُدْ، لِيَصُمْ، قُلْ، فَاهْدَيْني و...) بما فيها من بالغ الأثر في المخاطب إذ تقتضي صيغة الأمر أن يكون الأمر في موقف أرفع من المأمور في الخطاب الكلامي، خاصّة إذا اقترن هذا الأمر بشيء من السخرية و التهكم؛ وكذلك الاستفهام: "أجلاء، مَنْ يقوم، أفرغتم و...". أضف إلى ذلك أن إرسال الكلام إخبارياً لا يتمكّن من إثارة المشاعر قدر ما يُمكن للتعبير الإنشائي أن يكون فاعلاً في الممتلقي؛ و من جرّاء هذا إنه لمن الأدوات التي تساعد الأديب الساخر على تأدية ما يريد من سخريته.

٢ . استعمال اللغة المحكية أو المتمدنية

استعمال اللغة المحكية أو المتمدنية للدلالة على دونية الموضوع و تدني الشخص الذي وجّه الشاعر سخريته إليه، و قد اعتمد الشاعر في بعض قصائده التي قالها في السماسرة و الزعماء على اللغة المحكية، و على كثير من المصطلحات و التراكيب المتداولة بين العامة، خاصة قصائده "إلى ثقيل، أيها الأقوياء، السماسرة، إلى الأحرار، أنتم". (طه، ١٩٩٨م: ١٤٦) وكذلك قوله:

وَطَنِي مُبْتَلَى بِعُصْبَةٍ "دَلَّا لِيْن" لَا يَتَّقُونَ فِيهِ اللَّهَ

(طوقان، قصيدة "يا رجال البلاد": ١٨٥)

فهنا استعمل طوقان كلمة «دالين» _ بوصفها لغة محكية _ بدلا عن «السماسة» لتحقير هذه الجماعة و ازدراءهم أولا، و يُفيد معناه المتوخى إلى المتلقي العام بأيسر نحو ممكن ثانيا؛ و هذا نوع من أساليبه في السخرية.

٣. المقابلة

المقابلة هي أن يأتي الشاعر بصورة ثم يأتي بصورة أخرى تقابلها و تناقضها، فيرى المخاطب بمقابلتها ما في الواقع الموجود، إثارة للعقل و العاطفة معا، و مثال ذلك قوله: (طه، ١٩٩٨م: ١٤٧)

ليت لي من جماعة (السار) قوماً يتفانون في خلاص البلاد
أو كإيمانهم رؤوخاً عميقاً ثابت الأصل في قرار الفؤاد
لا إيمان من ترى في فلسطين قصير المدى، كليل الزناد

(طوقان، قصيدة "الإيمان الوطني": ٢١٠)

فمن الملاحظ أن الشاعر في هذه الأبيات قد قارن إيمان مواطنيه و عزمهم بما يرى في غيرهم من الجماعات _ و منهم جماعة السار _ الذين استرخصوا النفس و النفيس لمواجهة الأعداء و تحرير الوطن من محالب المحتلين؛ و بهذه المقابلة يستفز أبناء وطنه و يهيب بهم إلى تثبيت عزائمهم و ترسيخ إيمانهم مثل سائر الشعوب التي تمكنت بما في النهاية من استعادة مجدها الفاتت.

و هذا كقوله الذي أدار فيه المقارنة بين أمثلة الزعامة الوطنية "غاندي" و من كانوا يتحكمون في شؤون الشعب الفلسطيني من الزعماء المتهانين؛ حيث يقول ساخرا منهم:

حبذا لو يصوم منا زعيم مثل (غاندي) عسى يفيد صيامه
لو يصم عن طعامه في فلسطين يموت الزعيم لو لا طعامه

(المصدر نفسه، قصيدة "اشترى الأرض تشتريكم من الضيم": ١٦٩)

و المقابلة كذلك، توازي فيها تراكيب و ألفاظ، و قد تكون هذه الألفاظ مترادفة أو متعاكسة في المعنى، و من خلال هذا الترادف أو التناقض (الطباق)، تتحقق السخرية، و مثال ذلك قوله في السماسة: (طه، ١٩٩٨م: ١٤٨)

يَتَعَمَّون مكرمين، كأنما لنعيمهم عم البلاد شقاؤها

و حُمَاتِهَا، وَ بِهَمِّ يَتِيمٍ خَرَّابُهَا
و على يَدَيْهِمْ بَيْعِهَا وَ شَرَاؤُهَا

(السابق، قصيدة "السماصرة": ٢١٢)

لِلْحَقِّ سَطْرٌ فِي صِحَافِنَا وَ لِلتَضْلِيلِ نَهْرٌ
لِلْخَامِلِينَ نَبَاهَةٌ فِيهَا وَ لِلأَغْمَارِ ذِكْرٌ
وَ هُنَاكَ سِمَسَارُ الْبِلَادِ فَإِنَّهُ الشَّهْمُ الأَعْرُفُ

(السابق، قصيدة "فلسطين مهد الشهداء": ٢٠٠-٢٠١)

وَ هَضَمْتُمْ حَقَّ الْجَوَارِ وَ صَحْتُمْ: «أَيُّهَا النَّاسُ حَقْنَا مَهْضُومٌ»

(السابق، قصيدة "ردّ على رثويين": ١١٥)

هِيَ فَرِحَةُ الْعِيدِ الَّتِي قَامَتْ عَلَيَّ
أَلَمُ الْحَيَاةِ وَ كُلُّ عِيدٍ طَيِّبٌ

(السابق، قصيدة "الحبشي الذبيح": ١٠٤)

٤. تقرير الحقائق مخالفةً للوضع القائم

أو تقرير الحقائق على شكل غير مألوف و ذلك لاكتشاف السخرية و مثال ذلك قوله:

(طه، ١٩٩٨م: ١٤٨)

هُوَ بِالْبَابِ وَاقِفٌ
وَ الرَّدَى مِنْهُ خَائِفٌ

(السابق، قصيدة "الفدايي": ١٣٦)

إنه يوجه كلمات إلى من يراه جباناً بلغة ساخرة انقلبت فيها الحقيقة، فحواها هكذا: ما أشجعك أيها المقدم، فالموت و الهلاك يخافان من شجاعتك و هيبتك المريعة! و بهذه المثابة يُدير الأذهان إلى عكس ما ذهب إليه و هو إظهار خوف المسخور منه من الهلاك استخفافاً به و تحقيراً لشأنه.

عَيْبُهُ أَنَّهُ لِسَانٌ حَسُودٌ
نَشَرَ الْفَضْلَ مِنْكَ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ

(السابق، قصيدة "تحية الريحاني": ٧٢)

و الحقيقة المقلوبة فيه: أن لسان هذا الحسود ناشر الفضل بدل أن يكون ناشر العداوة
و البغضاء!

جَذلان يَرْتَقِبُ الرَّدى فاعجِبْ لِموتِ في سُرور

(السابق، قصيدة "الساعة الثالثة": ١٤٤)

و موضع الاستشهاد فيه: أن الحقيقة على رأي الساخر هي أن المسخور منه لا يرتاع من
الردى، بل ينتظر وصاله بلهفة و شوق؛ فيعجب بحلول الهلاك عليه و هو في غاية السرور!

قالوا حَلاوةً روحِهِ رقصتْ به فأجبتُهُم: ما كلُّ رقصٍ يطربُ

(السابق، قصيدة "الحبشي الذبيح": ١٥١)

و المعروف أن الرقص و الطرب متلازمان لا قوام للأول دون وجود الثاني إلا أن طوقان
بلغته الساخرة عبّر عن هذه الحقيقة مخالفةً للوضع القائم المعروف، حيث فصل بينهما
قائلاً: «ما كلُّ رقصٍ يُطربُ».

٥. معاكسة النتائج للمقدمات:

إن السخرية تتمتع بمنطق معين غالباً، ذلك لأنها تأتي أولاً بالمقدمات لتخلص إلى النتائج. و
عادة، وهذا ما يثير السخرية، يخرج الشاعر من هذا الأسلوب، و يبدع سخرية لا تتطابق
المقدمات فيها مع النتائج. و هذا ما استعمله شاعرنا في بعض قصائده. (طه، ١٩٩٨م: ١٤٨)

و مثال ذلك قصيدته "أنتم"، حيث يخاطب زعماء فلسطين، و يقول:

أنتم (المخلصون) للوطنية	أنتم الحاملون عبء القضية
أنتم العاملون من غير قول!!	بارك الله في الزنود القوية!
و (بيان) منكم يُعادِلُ جيشاً	بمعدات زحفه الحربية...
و (اجتماع) منكم يردُّ علينا	غابر المجد من فتوح أمية
و خلاص البلاد صار على الباب؛	و جاءت أعياده الوردية...
ما جحدنا (أفضالكم)، غير أننا	لم تزل في نفوسنا أمية...
في يدينا بقية من بلاد...	فاستريحوا كيلا تطير البقية

(السابق، قصيدة "الحبشي أنتم": ٢١٩)

ينظر طوقان إلى "الزعماء" فيراهم متزلزلين، إلا أنه لا يصرح بذلك بل يغيّر ما يشاهد فيهم رأساً على عقب، فيصفهم أقوياء ماجدين ذوي همم عالية، و لكن ينهي القصيدة - ساخرا منهم- بالإشارة إلى أنّ إبادة الوطن تكاد تتحقّق بواسطة هذه "الهمم العالية" داعياً إياهم إلى أن يدعوا زمام أمور البلاد و شأنها.

و طبيعيّ أن صياغة الكلام بهذا الشكل مسرّبةً بالسخرية و المرارة و استخدام ضمائر المخاطب فيها يُضاعف من حرافتها الموجهة إلى الرؤساء الفلسطينيين.

إذن تنضح قصيدة إبراهيم طوقان بالسخرية و المرارة؛ و الخطاب هنا لم يرد به إلا الفضح و الكشف عن هذه الزعامات المزيفة، لكنّه لم يقل إنّهم خونة و إنهم غير متصدّين للقضية و عبثها، و لم يقل إنّ كلامهم يفوق أفعالهم؛ إنما قال هذه المعاني بالفعل، لكن بعد أن ألبسها ثوب النقيض، و هذه ميزة تجعل الشعر أكثر تأثيراً و إيلاماً، و بالتالي فهو أوفى دلالة من التقرير المباشر بالتصريح، و تصل قمة السخرية بالشاعر من هؤلاء الزعماء إلى القول:

و خلاص البلاد صار على الباب؛ و جاءت أعياده الوردية...

و يتابع:

ما جحدنا (أفضالكم)، غير أنّا لم نزل في نفوسنا أمنيّة...
في يدنا بقية من بلاد... فاستريحوا كيلا تطير البقية

فإنها دعوة في قمة السخرية و الألم؛ نقيضان يجتمعان ليكشفنا عمق إحساس الشاعر بالمأساة و التي يقودها اليهم هؤلاء الزعماء، فيطالبهم بالتنحي: «فاستريحوا» عن الزعامة حفاظاً على ما تبقى من الوطن. (المكاسي، ٢٠١٠م، ص ١٢)

و كذلك قوله:

مغرّم بالبلاد صبّ و لكن بسوى القول لايفيض غرامه
بطلّ إن علا المنابر، كرارّ سريع عند الفعال الهزائم

(طوقان، قصيدة "الحبشي أنتم": ١٦٩)

و هذا الأسلوب الساخر من المنظور البلاغي يشاكل محسّنة بدعية تسمّى "الهجو في معرض المدح"؛ و هي أن يُؤنّى بكلام ظاهره مدح و باطنه ذم. (المدني، ١٩٦٩م: ٣٣٥)

٦. المعاكسة اللفظية أو عكس الدلالة

هي ما تسمى المفارقة اللفظية، وهي شكل من أشكال القول، يساق فيه معنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر، وغالبا ما يكون مخالفا للمعنى السطحي الظاهر، و يجتمع فيها أكثر من عنصر، فهي تشتمل على عنصر يتعلق بالمغزى هو المقصد القائل، و تشتمل كذلك على عنصر لغوي بلاغي هو عملية عكس الدلالة. (طه، ١٩٩٨م: ١٥٠) ومثال ذلك عند إبراهيم طوقان:

حينما يقول "أنتم (المخلصون) للوطنية" يقصد في الحقيقة أنهم مخلصون لذواتهم الدنية لا للوطنية؛ كما يتضح في قصيدة «أيها الأقوياء» هذا الشكل من أشكال القول الساخر، انظر إلى قوله:

أيها الأقوياء^٧

قد شهدنا لعهدكم (بالعدالة) و ختمنا لجنديكم بالبسالة
و عرفنا بكم صديقا وفيًا كيف ننسى انتدابيه و احتلاله
و خجلنا من (لطفكم) يوم قلتم: وعد بلفور نافذ لا محالة
كل (أفضالكم) على الرأس والعين وليست في حاجة لدلالة

(طوقان، قصيدة "أيها الأقوياء": ٢١٩)

و لعله من نوافل القول التي تبين ما ذهبنا إليه، و هو أن إبراهيم يقصد أن الزعماء ليسوا مخلصين، مثلما أن الانتداب ليس عادلا، بل عهده عهد ظلم و جور و عداء (طه، ١٩٩٨م: ١٥٠) كما أن تسخر الشاعر من الحكام برز جلياً في عنوان القصيدة، حيث يعبر خير تعبير عن ضعف هؤلاء الحكام بـ "أيها الأقوياء". فلا غرو إذ قلنا - حسبما تقدم - إن المفارقة أو الدلالة المعاكسة في الخطاب الكلامي الساخر تتمثل أحيانا في أسلوب ندائي يكون فيه المنادى متسما بسجية محمودة توحى بما يعاكسها من الخصال المذمومة، كما نلاحظ في شعر طوقان أنه يخاطب الزعماء الذين هم أدلاء من منظره، و يناديهم قائلا:

أحرارنا! قد كشتتم عن (بطولتكم)

(طوقان، "إلى الأحرار": ٢٠٥)

و إضافةً إلى النداء، هناك أداة أخرى تتحقّق به عملية عكس الدلالة في الخطاب الكلامي و هي الأسلوب الدعائي الساحر؛ كقوله في الزعيم المتهاون البعيد عن الغيرة على أرض الوطن:

بَارِكْ اللهُ فِي حَرِيصٍ عَلَى الْأَرْضِ غَيْرِ يُنْهَى إِلَيْهَا اهْتِمَامَهُ

مُعْرَمٌ بِالْبِلَادِ صَبٌّ وَ لَكِنْ بَسْوَى الْقَوْلِ لَا يَفِيضُ غَرَامُهُ

(السابق، قصيدة "اشترُوا الأرض تشتريكم من الضيم": ١٦٩)

حيث يتجلى أمام أعين القارئ أنّ هذا الدعاء الموجه إلى الزعيم ليس دعاءً في الواقع، بل أسلوبٌ ينطوي على أشدّ حالات اللعن عليه و السخرية منه.

٧. إيقاظ الواهم أو ما تسمى المفارقة الدرامية

يمكن تعريف هذا النوع من المفارقة على أنّه الوقف الذي يتولّد من سلوك إنسان ما سلوكاً معيّناً، و هو جاهل تماماً بكلّ ملابسات الموقف و الحقيقة، و بخاصة عندما يكون هذا السلوك مخالفاً كل المخالفة للملابسات. (طه، ١٩٩٨م: ١٥٣)

مثال ذلك قوله لأبناء الشعب ينبّههم لإعمال تفكيرهم و اكتشاف الحقيقة:

وَ طَنْ يُبَاعَ وَ يُشْتَرَى وَ تَصِيحُ "فَلِيحْيَا الْوَطْنَ"

(طوقان، قصيدة "تفاؤل وأمل": ٢١٥)

فالشاعر هنا أراد أن يُخبر جميع أبناء الشعب بأنه وجدّ البون شاسعاً بين ما يُقال في وطنهم و ما يُفعل به. إنّما هو بهذا الأسلوب يُوقظ المتوهّمين الذين يزعمون أن "الوطن يحيى مادام دَعَا لحياته جمهورُ الناس بمُتافهم المدويّة" و ينبّههم على أن المحاولة الفعلية للدفاع عن حياض هذا الحرم المقدّس هي التي تؤدّي في النهاية إلى ازدهاره و رقيّه. و كذلك قوله في قصيدته "كارثة نابلس":

وَ مَرِيضٌ وَ عُوْدٌ صَرخِ الْمَوْتِ، وَ كَانُوا يَدْعُونَ بِالْإِبَالِ

(المصدر نفسه، قصيدة "كارثة نابلس": ٢١٥)

«فإنّه صورهم و هم لا يعلمون من أمر زلزال الموت القادم إليهم في اللحظة التي كانوا فيها

بدعواتهم يرجون ابتعاده». (طه، ١٩٩٨م: ١٥٣)

النتيجة

١. وجد إبراهيم طوقان السخرية و التهكم من الزعماء الخائنين و السماسرة و الأعداء، كسلاح و حيد، سلاح فعّال يدعو الناس إلى الاستعانة بالحاكم و أحكامه، و بالتالي إلى مقاومته و عدم الخوف منه. و سلاح الضحك يستطيع المواجهة، و هو سلاح لا يستطيع القانون أن يضبطه، و لا يستطيع الرقابة السيطرة عليه أو أن تعاقب عليه.
٢. إن أسلوب إبراهيم التهكمي الساخر يختصّ غالباً بالقضايا السياسية التي ينتقد فيها القادة، فهو صبّ سخريته على الجانب السياسي، و تهكّم من الأشخاص أكثر مما سخر من المفاهيم و القيم البالية.
٣. إن من أهمّ البواعث النفسية التي أثّرت في تزايد استخدام السخرية في شعر الشاعر هي رؤيته المتشائمة للواقع و تكوين شخصيته النفسي و التربوي، و موقفه السياسي.
٤. بقراءة قصائد طوقان الساخرة اللاذعة، نلاحظ أنّه كتبها للسخرية من السماسرة و بعض الزعماء و الصحف، مستخدماً أساليب شتى، مثل: استخدام صيغة الأمر و الاستفهام، و استعمال اللغة المحكية أو العامية، و المقابلة، و تقرير الحقائق مخالفةً للوضع القائم، و المعاكسة اللفظية، و معاكسة نتاج المقدمات، و إيقاظ الواهم.

الهوامش

- ١ - الجلاء: الخروج من الوطن، المحق: الهلاك و الاستئصال.
- ٢ - جماعة وطنية ألمانية ثاروا على الاستعمار و قاموا بدحر المحتلّين.
- ٣ - زعيم حركة الاستقلال الهندية.
- ٤ - سطر: هنا يدلّ على القلّة و النهر هنا يدلّ على الكثرة.
- ٥ - الأغمار: الجهّال.
- ٦ - فإنه الشهم الأغرّ: إنه هو المكرّم و المحترم.
- ٧ - موجّهة إلى حكومة الانتداب البريطانية.

المصادر

- القرآن الكريم.
- ابن منظور، *لسان العرب*، ج ٤، بيروت، دار صادر، ط ١، ١٩٩٠م.
- أدونيس، علي أحمد سعيد، *مقدمة للشعر العربي*، بيروت، دار العودة، ط ٤، ١٩٨٢م.

- السيوسي، سلمى خضراء، *موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر*، ج ١، أمان، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧م.
- الخليلي، علي، *النكتة العربية (انفجارات في الأرض اليابسة)*، عكا، منشورات دار الأسوار، ط١، ١٩٧٩م.
- دادفر، أبو القاسم، *السخرية في شعر الشعراء الكلاسيكيين*: www.adabona.com
- ضيف، شوقي، *الفكاهة في مصر*، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م.
- طوقان، إبراهيم، *الأعمال الشعرية الكاملة*، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ١٩٩٣م.
- طوقان، فدوى، *أخي إبراهيم*، بيروت، دار العودة، ٢٠٠٥م.
- طه، الـمتوكل، *الكنوز (مالم يعرف عن إبراهيم طوقان)*، عكا، القدس، مؤسسة الأسوار، ط١، ١٩٩٨م.
- عباس، احسان، *نظرة في شعر ابراهيم طوقان*، بيروت، دار العودة، ٢٠٠٥م.
- عبد الستار، سها، *السخرية في الأدب العربي الحديث*، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.
- عدلي، عزت، *في الأدب الساخر*، مجلة الجديد، العدد ١٢٢، ١٩٧٧م.
- العسكري، محمد صالح شريف و بيكدلي، أعظم، *سخرية الماغوط في العصفور الأحذب*، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد الثامن، إيران، ١٣٩٠ش.
- العقاد، عباس محمود، *جحا الضاحك المضحك*، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م.
- الفاخوري، حنا، *الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)*، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٦م.
- فتوح، محمود، *سبك شناسي*، طهران، نشر سخن، ١٣٩١ش/ ٢٠١٢م.
- قاسم، سيزا، *المفارقة في القصّ العربي المعاصر*، مجلة فصول، العدد ٢، ١٩٨٢م.
- كاوري، صادق ابراهيم، *السخرية في الشعر العربي المعاصر*، مجلة المعرفة، العدد ٥١١، السنة ٤٥، دمشق، ٢٠٠٦م.
- الماضي، شكر عزيز وآخرون، *معالم الحياة الأدبية في فلسطين والأردن، عمّان*، دار الفارس للنشر و التوزيع، ط١، ٢٠٠٩م.
- مجمع اللغة العربية، *المعجم الوسيط*، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.
- المدني، السيد علي صدر الدين بن معصوم، *أنوار الربيع في أنواع البديع*، تحقيق: شاكر هادي شكر، ج٣، كربلاء، نشر و توزيع مكتبة العرفان، ١٩٦٩م.
- المكاسني، عثمان قدرى، *إبراهيم طوقان بلساننا تخاطب دعاء الذلّ*، صحيفة صوت العروبة، ٢٧/٦/٢٠١٠م.